نحو ضوابط علمية
فى الأحرف والقراءات القرآنية

د. السيد عبد المقصود جعفر
أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد
كلية الآداب ــ جامعة بنها

تقديـــم

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على خاتم النبيين .

وبعد ،

فـــإن المعلـــوم أن قضـــية " الأحرف والقراءات " من قضايا علوم القرآن الشـــائكة ، وأن كثيرا من مشكلاتها لا يزال مثار جدل إلى اليوم فى مباحثنا ودراساتنا القرآنية ..

وســـبب ذلـــك ــ فـــيما أعتقد ــ يتمثل فى خطأ منهجى ، يتعلق بانطلاق جمهـــور الباحثيـــن فى هذه القضية قديما وحديثا من مسلمة نظرية بعينها ، وهـــى مسلمة " تنـــزيل الأحرف " بحسب فهمهم لحديث " أنزل القرآن على سبعة أحرف " .. دون أن ينطلقوا أولا من واقع مرويات السنة المتعلقة بهذه القضية، كى يقفوا على معنى واضح للمقصود من الأحرف ، والمقصود من كونها " سبعة " ، والمقصود ــ وهو الأهم ــ من معنى تنـــزيلها فى ضوء معطيات هذه المرويات نفسها ، بشتى دلالاتها وتفاصيلها..

أى أن الانطلاق من هذه المسلمة أولا ــ بل أولا وآخرا فى معظم الأحيان ــ كـــان بمـــثابة قيد يحول دون الوصول إلى الحقيقة كلما بدت أمام هؤلاء الباحثين ، فهم يقتربون منها ثم يتراجعون ، أو يقرون بها ثم يتناقضون ، فلا هـــم وضعوا أيدينا على رؤية واضحة فى هذه القضية ، ولا هم أتاحوا لمن قارب هذه الرؤية منهم أن يوصلها إلينا ..

ولا أدعـــى أن هذه الدراسة هى التى ستحسم الأمر فى ذلك كله ، إنما هـــى تـــتوجه فقط إلى غرضين محددين : أولهما محاولة إبراز ذلك الخطأ

المـــنهجى الذى أشرت إليه فى البداية ، مع بيان أثره فى معالجات الباحثين المتـــنوعة لتلك القضية . والثانى : هو محاولة إبراز أوضح التصورات التى ظهـــرت فـــى تراثنا وأكثرها اتساقا بخصوص هذه القضية، أو استنقاذها ـــ بالأحرى ـــ من بين ركام هذه المعالجات .

وذلـــك كلـــه مـــن خلال مبحثين : يتعلق أولهما بقضية الأحرف من جهة علاقـــتها بالنص المنـــزل ، ويتعلق الثانى بها من جهة علاقتها بالمصاحف العثمانية ..

والله ولى التوفيق

المبحث الأول

(القرآن و الأحرف)

ـ ١ ـ

ورد ذكـــر الأحـــرف القرآنـــية فى أحاديث نبوية كثيرة يصل بها بعض العلمـــاء إلـــى حد التواتر.وقد روى الحافظ أبو يعلى فى مسنده أن عثمان – رضـــى الله عـــنه– قال يوماً وهو على المنبر :أذكّر الله رجلاً سمع النبىﷺ قال: " إن القرآن أُنـــزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف " لما قام. فقاموا حتى لم يُحصَوْا ، فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: " أُنـــزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف" فقال عثمان رضى الله عنه: "وأنا أشهد معهم [١].

والحرف فى اللغة هوطرَف الشئ وحدّه، وواحد حروف التهجى، وفى قوله تعـــالى: {**ومـــنَ الناسِ مَنْ يعبُدُ اللهَ على حرْفٍ**} [الحج/١١] أى على وجه واحـــد ومذهـــب واحد فهو لا يعبده إلا على الرخاء والسراء لا على السراء والضراء[٢]

فالأحـــرف إذًا فـــى هذا الحديث هى الوجوه . لكن أية وجوه هى، وما المراد بها ؟ ليس فى هذا الحديث ولا فى غيره تصريح بذلك . وليس فيه ولا فى غيره أيضًا بيان للمراد من كون هذه الأحرف "سبعة" على وجه التحديد ..

---

(١) انظـــر الإتقـــان فى علوم القرآن للسيوطى ، بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، ط مكتـــبة دار التراث ـــالقاهرة،د.ت ١٣١/١ ومناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ عبد العظيم الزرقانى،ط الحلبى،د.ت ١٣٩/١

(٢) انظـــر تـــأويل مشـــكل القرآن لابن قتيبة،تحقيق السيد أحمد صقرـــ ط دار التراث ١٣٩٣هـــ ـــ ١٩٧٣م ص ٣٥،٣٦ وراجع أيضا لسان العرب ، مادة (ح ر ف)

لكـــن مفهـــوم أحاديث الأحرف يدل مع ذلك دلالة واضحة ، على أنها تتعلق بقضية محددة ، وهى قضية تلقى العرب للقرآن فى أوائل عهدهم به ، وما يجدونه من العناء فى أدائهم له على وجه واحد لا يحيدون عنه ــ على تعدد ألسنتهم ولهجاتهم وعلى تفاوت قدراتهم وأعذارهم كذلك ــ وأن الرسول ﷺ كـــان يجـــتهد مـــع جـــبريل ما استطاع كى يسأل الله عز وجل التخفيف والتوسعة على الناس فى أداء هذا الكتاب ، مراعاة لهذه الأعذار.

فهذا كله هو الواضح من مثل هذه الروايات :

أ ــ روى مسلم بسنده عن أبى بن كعب أن النبى ﷺ كان عند أضاة[1] بنى غفـــار، قـــال: "فأتـــاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتى لاتطيق ذلك. ثـــم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتى لا تطيق ذلك. ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمـــرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفـــرته، وإن أمتى لا تطيق ذلك. ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا ".

ب ــ روى الترمذى عن أبى بن كعب قال: " لقى رسول الله ﷺ جبريل عـــند أحجـــار المروة، قال: فقال رسول الله ﷺ لجبريل: إنى بُعثت إلى أمة أميـــين، فـــيهم الشيخ الفانى والعجوز الكبيرة والغلام. قال: فمرهم فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف ".

ج ــ أخـــرج ابن جرير الطبرى بإسناده عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عـــن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ قال جبريل: اقرأ القرآن على حرف. قال:

---

(٣) الأضاة: مستنقع الماء ، من سيل وغيره .

ميكائيل عليه السلام: استزده. فقال: على حرفين. حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف، فقال: كلها شاف كاف، مالم يختم آية عذاب بآية رحمة أو آية رحمة بآية عذاب، كقولك:هلم وتعال ".

د ــ روى البخارى ومسلم (واللفظ للبخارى) أن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه- قال: "سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره فى الصلاة، فانتظرته حتى سلّم، ثم لببته بردائه أو بردائى، فقلت من أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ. قلت له: كذبت، فوالله إن رسول الله ﷺ أقرأنى هذه السورة التى سمعتك تقرؤها، فانطلقت أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: يارسول الله إنى سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وأنت أقرأتنى سورة الفرقان. فقال رسول الله ﷺ: أرسله ياعمر.. اقرأ ياهشام، فقرأ هذه القراءة التى سمعته يقرءوها. قال رسول الله ﷺ: هكذا أُنزلت. ثم قال رسول الله ﷺ: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ماتيسّر منه".

هـ ــ مسلم بإسناده عن أبىّ بن كعب قال: "كنت فى المسجد، فدخل رجل يصلى فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله ﷺ، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه. فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ، فحسّن النبى ﷺ شأنهما، فسقط فى نفسى من التكذيب ولا إذ كنت فى الجاهلية. فلما رأى رسول الله ﷺ ماقد غشينى ضرب فى صدرى، ففضت عرقاً، وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فَرَقا فقال لى: ياأبىّ، أُرسل إلىّ أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه: أن هوّن على أمتى، فردّ إلىّ الثانية: اقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هوّن على أمتى، فرد إلىّ

الثالثة: اقرأها على سبعة أحرف، ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألُنيها. فقلت: اللهـــم اغفر لأمتى اللهم اغفر لأمتى. وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم ﷺ".

و ــ أخـــرج البخارى عن عبد الله بن مسعود أنه سمع رجلاً يقرأ آية ســـمع النبى ﷺ يقرأ خلافها. قال فأخذت بيده فانطلقت به إلى النبى ﷺ فقال: كلاكمـــا محســـن، فاقـــرأ" قال شعبة أحد رواة هذا الحديث: أكبر علمى أن النبىﷺ قال: "فإن من كان قبلكم اختلفوا فأهلكوا ".

وعلى شاكلة هذه الروايات ورد غيرها كثير[1]، مما يحمل نفس فحواها ويساعدنا على فهم حقيقة الهدف من هذه "الأحرف"، وهو التيسيرعلى العرب فى تلاوة القرآن وحفظه، إلى أن يستقر نمطه الجديد فى حياتهم ويثبت لفظه على ألسنتهم .

فيدل فحوى هذه الروايات إذًا ــ إن لم يكن منطوقها أيضًا ــ على أن هذا التيسير كان يشمل جانبين :

أولهمـــا: ما يتعلق بلغات العرب وتفاوت ألسنتها. فعلى الرغم من أنهم كـــانوا جميعاً عرباً ومن أن القرآن عربى أُنـــزل بلسانهم عموماً، إلا أن هذا التفاوت كان لايزال حقيقة واقعة من جهة وكان القرآن منـــزلاً بلسان قريش

---

(٤) راجع فى الروايات السابقة وغيرها مقدمة الطبرى لتفسيره التى أورد فيها أكثر من أربعين رواية ، قلما توجد فيها رواية ضعيفة ، على حد ما ورد فى تعليقات العلامة أحمد شاكر على أسانيدها :انظر تفسير الطبرى بتحقيق الأستاذين محمود شاكر وأحمد شاكر،ط دار المعارف ص٢١ وما بعدها..وصحيح البخارى بشرح فتح البارى ، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز ، ط دار الكتب العلمية١٤١٠هـــ ــ ١٩٨٩مـــ،باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ،٢٧/٩ وما بعدها..و مناهل العرفان ١٤٣/١،١٤٢.

أساسًا من جهة أخرى.." [1] فكانت رحمة الله بهم وتوسعته عليهم فى قراءته ،من حيث كانت لغاتهم كما يقول ابن الجزرى :" مختلفة وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أومن حرف إلى آخر بل قد يكون بعضهم لايقدر على ذلك ولابالتعليم والعلاج لاسيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتاباً كما أشار إليه ﷺ. فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لايُستطاع وماعسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع.." [2].

الجانب الثانى: لايتعلق بتباين اللغات والألسنة.. بل بتباين القدرات عموماً ولو فى إطار اللسان الواحد. فالناس متفاوتون فى ذلك أيضاً، من ناحية الذاكرة والثقافة والتعليم..الخ، ومن هنا فإنهم يمكن أن يتنوعوا فى أداء النص الواحد..حتى لوكانوا ينتمون إلى لغة أو لهجة واحدة. وإلا فمامعنى اعتذار الرسولﷺ فى الروايات السابقة بالشيخ الفانى والعجوز والغلام والذىلم يقرأكتاباً قط ؟! فإن هذه الأعذار لاصلة لها باللغات واللهجات، إنما هى تتعلق بتفاوت القدرات من هذه الناحية التى ذكرناها. وأكبر دليل على ذلك رواية عمر بن الخطاب السابقة التى حكى فيها قصة اختلافه فى قراءة سورة الفرقان مع هشام بن حكيم، وتصويب الرسول لكل منهما.. مع أنهما – كليهما- قرشيان . أى أن كليهما قد قرأ بما تيسر له فى إطار لسانه الذى يتكلم به .

ويتسق مع ما سبق ، ما ذكره الدكتور عبد الصبور شاهين فى سياق

---

(١) تنزيل القرآن بلسان قريش حقيقة ثابتة قررها عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما،كما سيتضح فى مواضع لاحقة .

(٢) انظر ص٢٢ من مقدمة ابن الجزرى لكتابه النشر فى القراءات العشر،ط دار الكتب العلمية- بيروت.

حصره لمظاهر الاختلاف فى الأحرف ، حيث عد منها : ما نشأ عن العجز فـــى الـــنطق بسبب صغر السن (فيهم الغلام) ، وما نشأ عن العجز بسبب الجهـــل (والخـــادم) ، وما نشأ عن العجز بسبب الشيخوخة (والشيخ الفانى والعجوز).[1]

والغرض مما سبق أن التيسير فى قضية الأحرف كان تيسيرًا عامًا ،لا يقيده شـــيء سوى المحافظة على اتساق النص وانسجام المعانى كما ورد فى آخر الرواية الثالثة :".. مالم يختم آية عذاب بآية رحمة أو آية رحمة بآية عذاب".

وإذا كانـــت هـــذه هى النتيجة التى تدل عليها المرويات النبوية ذاتها ،فإنه لامعـــنى أيضا لفهم العدد "سبعة" فى بعض تلك المرويات على ظاهره وتقييد الأحـــرف به ،من حيث منافاة ذلك بالقطع لتلك التوسعة المطلقة التى أشرنا إليها ..

فأى "سبعة" ستكون الأحرف :

هـــل هـــى سبع لغات من لغات العرب (منتقاة) ،فأين سيكون التيسير إذًا والـــتماس العـــذر لمن لم يكن لسانه من هذه السبع ..على تعدد ألسنة العرب ولهجاتها؟ ! ..

هـــل هـــى ســـبع معان فى اللفظ الواحد مثل هلم وتعال وأقبل ،وأنظرونا ،أخـــرونا ،أمهلونا ...؟ فكيف يمكن التحديد بسبع أيضًا والألفاظ تختلف فيما بينها قلة وكثرة من حيث عدد مرادفاتها ،ثم ما معنى التيسير والإعذار أيضًا طالما حصل التقييد فى النهاية بعدد بعينه ؟ !

أم هـــى ســـبعة وجوه أو أنواع من اختلاف الناس فى الأداء : إما من ناحـــية الإعـــراب ،أو تغـــير حروف الكلمة ،أو التقديم والتأخير ،أو الزيادة

---

(١) انظر تاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين ،ط دار القلم ١٩٦٦م،ص٣٩.

والنقصـــان ... وهكذا ،فهذه أيضًا ــ حتى لو أمكن الاتفاق على أنواعها ــ ليســت إلا هــروبًا مقنعًا من قيد العدد [٧] ،من حيث إن ما يندرج تحت هذه الوجوه من تفاصيل اختلاف الناس فى الأداء ،مما ليس له حد .

ومن كل ماسبق يتبين لنا طرفا المعادلة أو المشكلة ،التى وضعها جمهور الباحثيــن فــى الأحــرف بأنفسهم ثم راحوا يحاولون الخروج منها ،فكانوا متراوحيــن دائمًا بين الطرفين : تبدو أمامهم حقيقة التوسعة المطلقة واضحة فــيحومون حولها بل ينطقون بها أحيانًا ، ثم يبدو أمامهم قيد العدد [٧] . فلا يستطيعون الفرار من حرفية تأويله ..ليعودوا إلى داخل المشكلة مرة أخرى .

ــ ٢ ــ

وهذه نماذج من أقوالهم فى معنى الأحرف ،تعكس بجلاء ــ فى مجموعها ــ هذه المراوحة بين الطرفين ،وقد اخترت أربعة من أبرز هذه الأقوال :

القول الأول : أن المراد سبع لغات لسبع قبائل من العرب، وليس معناه أن يكــون فى الحرف الواحد [١] سبعة أوجه، وهذه اللغات السبع متفرقة فى القــرآن، فبعضــه نــــزل بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة تميم وبعضــه بلغة أزْد وربيعة وبعضه بلغة هوزان وسعد بن بكر، وكذلك سائر اللغات، ومعانيها فى هذا كله واحدة .قال الخطابى: على أن فى القرآن ما قد قرئ بسبعة أوجه، وهو قوله { وعَبَدَ الطاغوتَ } [المائدة/٦٠] وقوله { أرسِلْه معنا غداً يرتَعْ ويلعبْ } [يوسف/١٢] وذكر وجوها[٢].

---

(١) أى :وليس معنى هذا الرأى أن يكون فى كل لفظ من القرآن سبعة أوجه .

(٢) فقوله تعالى { وعَبَدَ الطاغوتَ } على سبيل المثال، يُقرأ بفتح العين والباء ونصب الطاغوت {وعبد الطــاغوتَ } علــى أنه فعل معطوف على لعن فى قوله: {من لعنهُ اللهُ وجعل منهم القردةَ والخنازير

وإلـــى هذا القول الأول ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام وأحمد بن يحي ثعلب وابن عطية، وحكاه ابن دريد عن أبى حاتم السجستانى، وحكاه بعضهم عن القاضى أبى بكر[1].

أما المعارضون لهذا الرأى فهم كثيرون أيضًا ،كما نجده فى مثل قول الزركشـــى: "وقـــال ابـــن عبد البر: قد أنكر أهل العلم أن يكون معنى سبعة أحـــرف سبع لغات، لأنه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض فى أول الأمر، لأن ذلك من لغته التى طُبع عليها. وأيضاً فإن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشى، وقد اختلفت قراءتهما، ومحال أن ينكر عليه عمـــر لغته. ثم اختلف القائلون بهذا فى تعيين السبع فأكثروا. وقال بعضهم: أصـــل ذلك وقاعدته قريش، ثم بنو سعد بن بكر، لأن النبىﷺ استُرضع فيهم ونشـــأ وترعرع، وهو مخالط فى اللسان كنانة وهُذَيلا وثقيفا وخزاعة وأسدا وضبّه وألفافها لقربهم من مكة وتكرارهم عليها، ثم من بعد هذه تميماً وقيساً، ومن انضاف إليهم وسكن جزيرة العرب"[2].

وعـــبدَ الطاغوتِ}، ويُقرأ بفتح العين وضم الباء و جر الطاغوت { وعبُدَ الطاغوتِ } على أن عَبُدَ اسم فى معنى الجمع وما بعده مجرور بإضافته إليه وهو منصوب بجعل، ويقرأ بضم العين والباء ونصب الدال وجر مابعده {وعُبُدَ الطاغوتِ} وهو جمع عَبُد مثل سقْف وسُقُف، ويُقرأ: { وعُبُدَ الطاغوتِ } بضم العيـــن وفتح الباء المشددة، ويقرأ { وعُبَّادَ الطاغوتِ } بضم العين وفتح الباء المشددة الممدودة، ويُقرأ {وعِـــبادَ الطـــاغوتِ } بكســـر العين والباء المفتوحة الممدودة، ويقرأ {وعَابِدَ الطاغوتِ } بفتح العين الممـــدودة .فهذه سبعة أوجه..ومعها غيرها ، كما ورد فى " إملاء ما منّ به الرحمن " للعكبرى، انظر هذا الكتاب ، طـــ الحلبى ١٣٨٥هـــ -١٩٦٩ م١/٢٢١،٢٢٠

(١) انظر مقدمة تفسير القرطبى ،ط دار إحياء التراث ١٩٨٥م ١/٤٣ والبرهان فى علوم القرآن للزركشى ،بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ،ط الحلبى ١/٢١٧.

(٢) البرهان ١/ ٢١٩ ، وانظر اعتراض ابن الجزرى أيضاً على هذا الرأى فى " النشر " ١ / ٢٤ .

فمـــن الواضح فى ضوء هذا الكلام الأخير ، أن العدد "سبعة" قد ضاق بهذا الرأى ،لتعدد لغات العرب وعدم إمكان الاتفاق على سبع بعينها من هذه اللغات .

القـــول الـــثانى : أن المـــراد سبعة أوجه من المعانى المتفقة بالألفاظ المخـــتلفة، نحـــو: أقـــبل وهلـــمّ وتعـــالَ، وعجِّـــل وأســـرع، وأَنْظِر وأخِّر وأمهل..ونحوه.

يقـــول الســـيوطى: "وإلى هذا ذهب سفيان بن عيينة وابن جرير وابن وهـــب وخلائق، ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء، ويدل له ماأخرجه أحمد والطـــبرانى من حديث أبى بكرة " أن جبريل قال: يا محمد اقرأ القرآن على حـــرف، قال ميكائيل استزده حتى بلغ سبعة أحرف قال: كل شاف كاف مالم تخلط آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب نحو قولك تعال وأقبل وهلم، واذهب وأســـرع وعجـــل... قال ابن عبد البر: إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التى نـــزل القرآن عليها أنها معان متفق مفهومها مختلف مسموعها، لا يكون فى شئ منها معنى وضده، ولا وجه يخالف معنى وجه خلافاً ينفيه ويضاده، كالرحمة التى هى خلاف العذاب وضده " (١)

.وهذا الرأى هو الذى عليه الإمام ابن جرير الطبرى حيث يقول "بل الأحرف السبعة التى أنـــزل الله بها القرآن، هن لغات سبع، فى حرف واحد، وكلمـــة واحـــدة، باخـــتلاف الألفاظ واتفاق المعانى، كقول القائل: هلم وأقبل وتعـــالَ وإلـــىَّ وقصدى ونحوى وقربى، ونحو ذلك مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق وتتفق فيه المعانى، وإن اختلفت بالبيان به الألسن.." (٢)

---

(١) الإتقان ،ط الحلبى ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م ٦٢/١

(٢) انظر مقدمة تفسير الطبرى ص٥٨،٥٧.

فاللغات السبع فى كلام الطبرى هذا يراد بها :سبعة أوجه من المعانى المتفقة ،التى تؤديها العرب فى لغاتها ،بألفاظ مختلفة ..كما هو فى المثال الذى ضربه فى آخر كلامه .وأما اللغات السبع فى الرأى السابق ، فيراد بها أن القرآن فى مجموعه لا يخرج عن سبع من لغات العرب ،متفرقة فيه .

ومن المحدثين الذين اختاروا هذا الرأى الثانى الدكتور مناع القطان ،الذى يعبر عنه بقوله : "ذهب أكثر العلماء إلى أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب فى المعنى الواحد، على معنى أنه حيث تختلف لغات العرب فى التعبير عن معنى من المعانى يأتى القرآن منزلا بألفاظ على قدر هذه اللغات لهذا المعنى الواحد" (١)

على أنه لا يفوتنا بعد ذلك التنبيه إلى أن العدد "سبعة" لا يتسع أيضًا لهذا الرأى ،إلا إذا فهم على غير الظاهر .. بمعنى أن مجرد رمز للكثرة (كما سيتبين من الرأى الثالث) وهو المعنى الذى يدل عليه بالفعل حديث أبى بكرة الذى أورد السيوطى من قبل ،وفى نهايته قوله ﷺ:كل كافٍ شافٍ ... إلخ ،بما يدل على أنه لا حرج فى أداء النص على أى وجه ما لم تتضارب المعانى . غير أن ابن عبد البر ــ من واقع تقيده بالفهم الحرفى ــ فد أراد أن يحجب هذا المعنى ،حين عقب على الحديث بقوله :إنما أراد بهذا ضرب المثل ... إلخ،مع أن الكلام واضح تمامًا ،حيث يتوجه به الرسول ﷺ إلى المخاطبين على صورة الإفراد : (ما لم تخلط ... إلخ) أى لك أن تقرأ بأى وجه ما لم تفعل كذا وكذا ..فأى مثل فى هذا الخطاب الصريح ؟ !

القول الثالث : كما حكاه السيوطى ،أنه " ليس المراد بالسبعة حقيقة

---

(١) انظر مباحث فى علوم القرآن للشيخ القطان ،ط مؤسسة الرسالة ١٤٠٨هـ ــ١٩٨٧م ص١٦٢،١٥٨.

العـــدد، بـــل المراد التيسير والتسهيل والسَّعَة. ولفظ السبعة يُطلق على إرادة الكـــثرة فـــى الآحاد كما يُطلق السبعون فى العشرات والسبعمائة فى المئين ولايُراد العدد المعين، وإلى هذا جنح عياض ومن تبعه " [1].

فاستخدام مثل هذه الأعداد إذًا لمجرد الدلالة على الكثرة ،أمر معتاد فى أســـاليب العرب، وقد جرى القرآن نفسه على ذلك فى مثل قوله تعالى: {**ولو أنّ ما فى الأرضِ من شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يمدُّهُ من بعدِه سبعةُ أبحرٍ ماتَفِدَتْ كلمـــاتُ الله**} [لقمان/٢٧].. فإنه -بالتأكيد- لايراد "سبعة أبحر" تحديداً، وإلا فإن كلمات الله لاتنفد ولوكُتبت بمداد سبعين بحراً لاسبعة. وكذلك قوله تعالى: { ..**إنْ تستغفرْ لهم سبعين مرةً فلن يغفرَ اللهُ لهم** } [التوبة/٨٠] فإنه لايراد نفس العدد بالطبع، وإنما المراد: مهما استغفرت لهم (ولو سبعمائة لاسبعين) فلن يغفر الله لهم.

وقـــد احتج السيوطى وغيره بأن حقيقة العدد ملحوظة فى مثل قوله ﷺ الـــوارد فـــى الصـــحيحين: " أقرأنى جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف" أو قوله فى حديث مسلم: " **إن ربى أرسل إلىّ أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هوّن على أمتى، فأرســـل إلىّ أن اقرأه علىحرفين، فرددت إليه أن هوّن على أمتى، فأرسل إلـــىّ أن اقـــرأه على سبعة أحرف**" [2]. أى أن جبريل كان يأتى بعدد معين: واحد ثم اثنين ثم ثلاثة.. حتى انتهى إلى "سبعة".

ولا حجـــة لهـــم فى ذلك فى حقيقة الأمر ،إن لم يكن العكس ..إذ إن فحوى الروايتين أن جبريل ــ عليه السلام ــ كان مرسلاً بالتقييد (أى الإلزام

---

(١) الإتقان،ط الحلبى ٦١/١.

(٢) الإتقان ٦١/١.

بحـرف واحد) بينما كان الرسول ﷺ يريد التوسعة إلى أقصى حد ،وهو ما تحقـق حيـن انتهى معه جبريل إلى هذا العدد (سبعة) الذى لا مدلول له إلا مطلق الكثرة فى مثل هذا المقام .

القـول الـرابع : وهو من أشهر الأقوال -إن لم يكن أشهرها إطلاقاً- أن المراد بالأحرف السبعة، سبعة أوجه من التغاير أو الاختلاف التى لا تخرج عنها أنواع القراءات بوجه عام.

ولعـل أقدم من عرف عنه القول بهذا الرأى الإمام ابن قتيبة، حيث قال: وقد تدبرت وجوه الخلاف فى القراءات فوجدتها سبعة أوجه.

وهذه الأوجه كما ذكرها (باختصار):

أولهـا: الاختلاف فى إعراب الكلمة أو فى حركة بنائها بما لا يزيلها عن صـورتها فـى الكتاب ولا يغير معناها، نحو قوله تعالى: {**وهل نجازى إلا الكفـورَ** } [سـبأ/١٧] وهل يُجازى إلا الكفورُ، وقوله: {**فنظِرَةٌ إلى ميسَرَة**} [البقرة/٢٨٠] وميسُرة (بضم السين).

الـثانى: أن يكـون الاختلاف فى إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معـناها، ولا يزيلها عن صورتها فى الكتاب، كما فى قوله: {**ربَّنا باعِدْ بين أسفارنا**} [سبأ/١٩] وربُنا باعَدَ بين أسفارنا، و{**إذ تَلقَّوْنهُ بألسنتِكُم**} [النور/١٥] وتَلِقُونَهُ..أى تسرعون فيه(١)٠

الثالث: أن يكون الاختلاف فى حروف الكلمة دون إعرابها، بما يغير معـناها ولا يـزيل صورتها، نحو قوله: {**وانظر إلى العظام كيف ننشزُها**} بالزاى [البقرة/٢٥٩] وننشرهابالراء.

الـرابع: أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يغير صورتها فى الكتاب،

---

(١) انظر تفسير القرطبى ١ / ٢٠٤ ٠

ولا يغير معناها، نحو قوله: {**كالعهن المنفوش**}[القارعة/٥] وكالصوف.

الخـــامس: أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها، نحو قراءة: {**وطلعٍ منضود**} فى موضع {**وطلحٍ منضود**} [الواقعة/٢٩].

السادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم أو التأخير، نحو قوله: {**وجاءت سكرةُ الموت بالحق**} [ق/١٩] وقراءة: {**وجاءت سكرة الحقِّ بالموت**}.

الســـابع: أن يكـــون الاختلاف بالزيادة أو النقصان، نحو قوله تعالى: {**ومـــا عملـــته أيديهم**} [يس/٣٥] وقراءة: {**وما عملت أيديهم**} و{**إن الله هو الغنىُّ الحميد**} [لقمان/٢٦] و{**إن الله الغنىُّ الحميد**}(١).

ويجـــدر التعقيـــب على هذا الرأى السابق ببعض التعقيبات الضرورية ،على النحو التالى :

أولاً :إن أوجه التغاير السبعة السابقة ،التى طرحها ابن قتيبة على أنها الأحرف السبعة ليست كذلك فى حقيقة الأمر ،إنما هى نوع من التصنيف أو الحصر لأنواع اختلافات الناس فى الأداء . وفى اعتقادى أن ابن قتيبة قد لجأ إلـــى هـــذا النوع من الطرح أو التصنيف ،كى يتمكن من التوفيق بين أمرين :الأول هو العدد "سبعة" الذى أراد أن يلتزم بحرفيته ،بمقتضى فهمه الحرفى لحديث نزول القرآن على سبعة أحرف . الثانى هو الدلالة الواضحة لأحاديث الأحـــرف على التوسعة المطلقة فى الأداء ،بما لايمكن معه الحصر فى عدد معيـــن .. فكـــان هـــذا الطـــرح منه بمثابة الجمع ــ حسب تصوره ــ بين الحسنيين :الالتزام بحقيقة العدد ،من خلال حصر تلك الأنواع فى سبعة أوجه مـــن ناحـــية .. واســـتيعاب تلك الدلالة على التوسعة ،من خلال شمول هذه الأنـــواع لكل ما يمكن تصوره من ألوان تفاوت الناس فى الأداء ،من ناحية

---

(١) انظر تأويل مشكل القرآن ، ص٣٦ وما بعدها .

أخرى .

ثانـــيًا :جـــاء فـــى تعقيب ابن قتيبة على هذه الوجوه التى ذكرها قوله :"وكـــل هـــذه (الحروف) كلام الله تعالى ،نزل به الروح الأمين على رسوله عليه السلام"[1].. فهو إذًا يقول بتنزل كل ما يدخل تحت هذه الوجوه ، مما لا يدخل تحت حصر بحسب تعدد اللغات واللهجات ، وتعدد الأعذار أيضًا ..

لكنـــنا نجده فى السياق نفسه يعود ليجنح نحو العكس ،بما يدل على أن الأحرف أمر راجع إلى الناس أنفسهم ،حيث يقول :" فكان من تيسيره أن أمره بـــأن يقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم: فالهذلى يقرأ {عتى حين} يريد {حتى حين} [المؤمنون/٥٤] لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها. والأسدى يقرأ: تعلمـــون وتِعلم و{**تِسوَدُّ وجوه**} [آل عمران/١٠٦} و{**ألم إِعْهَد إليكم**} [يس/٦٠].والتمـــيمى يهمز والقرشى لايهمز. والآخر يقرأ: {وإذا قُيل لهم}[البقرة/١١] {وغِيض الماءُ} بإشمام الضم مع الكسر، و{**هذه بِضاعتُنا رُدّت إلينا**} [يوسف/ ٦٥] بإشـــمام الكسر مع الضم و{**مالَكَ لاتأمَنّا**} بإشمام الضم مع الإدغام، وهذا مـــالايطُوع به كل لسان. ولوأن كل فريق من هؤلاء، أُمر أن يزول عن لغته، وماجرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً لاشتد ذلك عليه، وعظُمت المحنة فيه ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة. فأراد الله برحمـــته ولطفـــه، أن يجعـــل لهم متسعاً فى اللغات، ومُتصرَّفاً فى الحركات، كتيسيره عليهم فى الدين .." [2].

فهذا كلام واضح الدلالة على أن الناس كانوا يتلقون الحرف المنـــزل عـــن الرســـول ﷺ بلسان قريش ،ليؤدوه هم ــ تلقائيًا ــ بألسنتهم وعاداتهم

---

(١) المصدر السابق، ص٣٨ .

(٢) المصدر نفسه ص٣٩،٤٠ .

النطقيه التى عذرهم فيها الله عز وجل ،إذ جعل لهم "متسعًا فى اللغات ومتصرفًا فى الحركات "كما جاء فى نهاية هذا الكلام .

هذا ..وقد قلد ابن قتيبة فى مفهومه للأحرف آخرون من القدماء والمحدثين ، فقالوا بقوله المتعلق بأوجه التغاير السبعة فى الأداء ،بوجه عام ..وإن تصرف كل منهم فى أنواعها وما يدخل تحتها من الظواهر اللغوية ،مع تمسكهم جميعًا بحرفية العدد [٧] فى الوقت نفسه ..

ومن هؤلاء ابن الجزرى [١] وأبو الفضل الرازى .. من القدماء[٢] ،والشيخ الزرقانى[٣] والدكتور صبحى الصالح[٤].. من المحدثين ،وكأنهم رأوا فى هذا المفهوم ــ كما رأى ابن قتيبة ــ خير مخرج لهم من تلك الإشكالية المتعلقة بالجمع بين المعنى الظاهر للعدد وتنزيل الأحرف من ناحية ،وحقيقة التوسعة التى لا يمكن إنكارها ولا تضييقها من ناحية أخرى .

ولم أجد من بين المحدثين ــ فى حدود ما وقع لى ــ من رفض الوقوع فى قيد هذه الإشكالية ،وقدم بشأنها رؤية واضحة سوى الدكتور عبد الصبور شاهين ، حيث يقول :"فالذى نرجحه فى معنى الأحرف السبعة ما يشمل اختلاف اللهجات وتباين مستويات الأداء ،الناشئة عن اختلاف السن ،وتفاوت التعليم ،وكذلك ما يشمل اختلاف بعض الألفاظ وترتيب الجمل بما لا يتغير به المعنى المراد ..... وخير برهان على أن دلالة العدد هنا غير مرادة بذاتها

---

(١) انظر النشر ص٢٦،٢٧ .

(٢) انظر مناهل العرفان ١/١٥٥ .

(٣) انظر كتابه السابق ١/١٥٥ ،١٥٦..حيث صرح بتبنيه لرأى الرازى وإن تولى هو التمثيل للوجوه السبعة التى أخذها عنه .

(٤) انظر مباحث فى علوم القرآن للدكتور صبحى الصالح ،ط دار العلم للملايين ١٩٧٩م ص١٠٨ وما بعدها.

أن الصـــحابة وهم أكثر الناس معاناة للمشكلة كانوا يتقبلون الأمر على أنه من بـــاب التوسعة والتيسير ،كما حدثهم دائمًا رسول الله ،وكانت دلالته تتسع يومًا بعـــد يـــوم ،كلما جد جديد فى محيط الدعوة ،أو وفد وافد من الأصقاع البعيدة يحمل معه تقاليد لهجية غريبة يقرأ بها القرآن ويتسع لها دائمًا مدلول الأحرف السبعة "[1]

ولعـــل هـــذا الكلام يكون مدخلا جيدًا لتتبع جذور هذه الرؤية وبلورة ملامحها لدى بعض الأقدمين ..

ـ ٣ ـ

ذلـــك أن هـــناك رأيًا أخر فى تراثنا واضح الوجهة فى مفهوم الأحرف والاتساق مع حقيقة الغرض منها ،وهو ما نسبه ابن حجر العسقلانى إلى عبد الرحمن ابن إسماعيل ،المعروف بأبى شامة (ت٦٦٥هـــ)..

يقـــول ابن حجر : "ونقل أبو شامة عن بعض الشيوخ أنه قال: "أنـــزل القرآن أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثم أُبيح للعرب أن يقـــرءوه بلغـــاتهم الـــتى جـــرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم فى الألفاظ والإعـــراب، ولم يُكلَّف أحد منهم الانتقال من لغته إلى لغة أخرى للمشقة ولما كـــان فـــيهم من الحمية ولطلب تسهيل فهم المراد، كل ذلك مع اتفاق المعنى. وعلى هذا يتنـــزل اختلافهم فى القراءة كما تقدم، وتصويب رسول الله ﷺ كلاً منهم".

فرؤية أبى شامة هذه ـــ أو من أخذ عنهم ـــ رؤية واضحة الدلالة على عدة أمور :

الأول :أنـــه لم يكن ثمة تنـــزيل إلا بلسان قريش ،ولا أداء بالتالى إلا بهذا

---

(١) انظر تاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين ص٤٣ .

اللسان ،وأن ما ظهر من ألوان الأداء الأخرى إنما كان على سبيل الإباحة ،لا على سبيل التنـــزيل .

الـــثانى :أن هذه الإباحة كانت إباحة مطلقة لا يمكن حصرها ،تبعًا لتنوع الأعذار التى لا يمكن حصرها كذلك ،مع شرط اتفاق المعانى بالطبع .

الثالـــث :وهو المقصود ،أن ما كان يقع من اختلاف الناس فى الأداء ويصـــل أمـــره إلـــى الرسول ﷺ فإنه كان يصوبه ،على معنى إقراره له .. بمقتضـــى هـــذه الإباحـــة ،لا علـــى معنى موافقته لأدائه هو ﷺ إو للحرف المنـــزل من عند الله عز وجل ..

غـــير أن ابـــن حجر ،قد عاد ــ من منطلق انجذابه إلى حرفية معنى التـــنـــزيل ــ ليحاصر تلك الرؤية الواضحة ويقترح تتمة لها لم تصدر عن أصـــحابها ،حيث عقب على كلام أبى شامة قائلا : "وتتمة ذلك أن يُقال: إن الإباحـــة المذكورة لم تقع بالتشهى، أى أن كل أحد يغير الكلمة بمرادفها فى لغته، بل المراعى فى ذلك السماع من النبىﷺ..".

لكـــنه عـــاد مرة أخرى ليدعم هذه الرؤية من حيث لا يقصد حين قال : "..لكـــن ثبـــت عن غير واحد من الصحابة أنه كان يقرأ بالمرادف ولولم يكن مسموعاً له، ومن ثم أنكر عمر على ابن مسعود قراءته {**عتى حين**} أى {**حتى حين**} وكتب إليه: إن القرآن لم ينـــزل بلغة هذيل فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل".

فهـــذا كـــلام واضح الدلالة أيضًا على أن الأحرف لم يكن يشترط فيها الســـماع ، بل كل يقرأ بحسب ما يتيسر له .أما موقف عمر المذكور ،فالظاهر أنـــه كـــان فى مدة خلافته (بدلالة أنه كتب إلى ابن مسعود) بعد أن فشا لسان قريش ولم تعد هناك حاجة إلى تلك الإباحة المطلقة ،فكان كلامه لعبد الله على سبيل النصح لا على سبيل التخطئة ،أو كما قال ابن عبد البر :"يحتمل أن يكون

هذا من عمر على سبيل الاختيار، لا أن الذى قرأ به ابن مسعود لايجوز".

ونقل ابن حجر عن أبى شامة أيضًا قوله: "ويحتمل أن يكون مراد عمر ثم عثمان بقولهما: (نـــزل بلسان قريش) أن ذلك كان أول نـــزوله، ثم إن الله تعـــالى ســـهله على الناس، فجوّز لهم أن يقرءوه على لغاتهم على أن لايخرج ذلك عن لغات العرب لكونه بلسان عربى مبين"[1].

فكلامـــه هـــذا واضـــح الدلالة أيضًا على التفريق الواجب بين أمرين :الحـــرف القرآنى المنـــزل من عند الله (وهو لسان قريش) ،وتلك الحروف الأخرى الناشئة عن رخصة التيسير والإباحة .

ـ ٤ ـ

يســـتنبط إذًا من كل ما سبق ،أن تنـــزيل القرآن على سبعة أحرف فى المرويات التى تضمنت ذلك ، لا يمكن أن يفهم على ظاهرِه ..الأمر الذى لم يغب عن ابن حجر أيضًا بعد عرضه لرأى أبى شامة ومن نقل عنهم من قبل ،فقـــال :"وحاصـــل ماذهب إليه هؤلاء أن معنى قوله: (أُنـــزل القرآن على سبعة أحرف) أى أُنـــزل موسَّعاً على القارئ أن يقرأه على سبعة أوجه، أى يقرأ بأى حرف أراد منها على البدل من صاحبه، كأنه قال: أُنـــزل على هذا الشرط أو على هذه التوسعة وذلك لتسهيل قراءته، إذ لوأُخذوا[2] بأن يقرءوه على حرف واحد لشق عليهم.."[3].

وهـــو تخـــريج جيد من ابن حجر ..كأنه يريد أن يقول إن النص ليس "أنـــزل القرآنُ سبعةَ أحرف" إذًا لكانت هناك سبعة أحرف منـــزلة بالفعل ، إنمـــا "أنـــزل **علـــى** سبعةِ أحرفٍ" أى موسعًا فى أدائه على سبعة أحرف ..

---

(١)انظر انظر جميع النقول السابقة فى فتح البارى ٣٣،٣٤/٩.

(٢) أى: حُمِلوا.

(٣) فتح البارى ٣٤/٩.

بصـــرف الـــنظر عن حقيقة العدد . ويشبه ذلك قولنا :"جاء كلام فلان على وجهيـــن" أى جاء محتمِلاً للفهم على وجهين ،بخلاف ما لو قلنا "جاء كلامه وجهين" إذًا لكان الكلام نفسه وجهين أو نوعين ..ونحو ذلك

وبناءً على كل ما سبق ،فإنه لا إشكال أيضًا فى فهم قوله ﷺ فى ختام روايـــة عمر الخاصة بخلافه مع هشام ابن حكيم حول قراءة سورة الفرقان :"هكـــذا أنزلـــت" التى تعد أقوى حجة لدى أصحاب الفهم الحرفى لأحاديث الأحـــرف ،حيث يصبح من الضرورى وضع هذه الرواية برمتها فى سياق جمـــيع الروايات الأخرى المتعلقة بالقضية ،كما يصبح من الضرورى وضع هـــذه العبارة بخاصة (هكذا أنزلت) فى سياق العبارات الأخرى التى صدرت عن الرسول فى مثل مناسبتها ،على هذه الشاكلة :"كلاكما محسن فاقرأ" ،"فمن قرأ بحرف منها فهوكما قرأ"، "فأى ذلك قرأتم أصبتم، فلا تماروا"، "ليقرأ كل إنســـان منكم كما عُلِّم"، "فاقرءوا ولا حرج،ولكن لاتختموا ذكر رحمة بعذاب ولاذكر عذاب برحمة" ،"هكذا أنزلت ،إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه "(١)

فلا يخرج المراد بهذه العبارة ــ وهى فى سياقها هذا ــ عن معنى :لا خطـــأ هناك ،لا حرج ،الأمر على التيسير ... وما شابه ذلك ،وإنما اختلفت هذه العبارات ــ والغرض واحد ــ لاختلاف وقائعها وملابساتها ،التى تعامل معها ﷺ بفطنته وحكمته ،كل على الوجه الذى يناسبه .

♦♦♦

(١) جميع العبارات السابقة ورد بعضها فى ختام اثنتين من الروايات الست التى أوردناها فى صدر هذا المبحث ،وورد بعضها الآخر فى ختام روايات أخرى سبق أن أشرنا إلى مصدرها بالهامش رقم٤ .

وعلـــى أى حـــال ،فإن الأحرف كما كانت رخصة لضرورات أباحتها، فإن المـــنطقى أن تـــزول هـــذه الرخصة بزوال مقتضاها.. بعد أن استتب النص القرآنى فى النفوس وتوحدت على نمطه البيانى ألسنة العرب. ومن ثم، فإننى مـــع الرأى الذى يرى أن عثمان قد قصد فى المصاحف إلى جمع الناس على حـــرف واحد.. لا على حروف اختارها بعينها.. أو كما يقول الطحاوى: "إن ذلك (أى الأحرف) كان فى وقت خاص لضرورة دعت إليه، لأن كل ذى لغة كـــان يشـــق عليه أن يتحول عن لغته، ثم لما كثر الناس والكتاب ارتفعت تلك الضرورة، فارتفع حكم الأحرف السبعة، وعاد ما يُقرأ به إلى حرف واحد"[1].

وذلك ما سوف نتناوله بنوع من التفصيل فى المبحث التالى ،مما يدعم أكثر مضمون هذا المبحث الذى فرغنا منه ويتدعم به فى الوقت نفسه .

المبحث الثانى

(الأحرف والمصاحف)

ـ ١ ـ

تمـــثل "المصاحف العثمانية" تطورًا مهمًا جدًا فى تاريخ القرآن .إنه التطور الذى نتج عنه الاستقرار النهائى للنص القرآنى فى حياة المسلمين

وتجمـــع كـــل المصـــادر التى يُعتد بها – بلا استثناء – على أن بداية هذا التطور ، تتعلق بما حدث من ظهور بوادر الاختلاف حول أداء " النص " ، بسبب اختلاف القراء وتنوعهم فيما تعلموه من وجوه الأحرف والقراءات .. على ماكان يبيحه رسول الله ﷺ تيسيرا على الناس ، كما سبق أن مر بنا.

أخـــرج ابـــن أشتة بإسناده عن رجل من بنى عامر يقال له أنس بن مالك

---

(١) البرهان ١/ ٢٢٤ .

(١) قـال: "اخـتلفوا فـي القـرآن علـى عهد عثمان ، حتى اقتتل الغلمان والمعلمون ، فبلغ ذلك عثمان بن عفان ، فقال: عندى تكذبون به وتلحنون فيه ، فمـن نـأى عنى كان أشد تكذيبا وأكثر لحنا ، يا أصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس إماما.."[٢].

وقـال السيوطى: " قال ابن النيّن وغيره : الفرق بين جمع أبى بكر وجمع عثمان أن جمع أبى بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شئ بذهاب حملته ، لأنه لم يكن مجموعا فى موضع واحد، فجمعه فى صحائف مرتّبا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبى ﷺ ، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف فى وجوه القراءة حتى قرءوه بلغاتهم على اتساع اللغات ، فأدى ذلك بعضَهم إلى تخطئة بعـض، فخشى من تفاقم الأمر فى ذلك ،فنسخ تلك الصحف فى مصحف واحد مرتـبا لسـوره ، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغـتهم ، وإن كـان قد وُسِّع فى قراءته بلغة غيرهم رفعاً للحرج والمشقة فى ابتداء الأمر ، فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة"[٣].

ولعل أشهر رواية وردت فى هذا الشأن ، ما أخرجه البخارى عن أنس ، أن حذيفـة بـن الـيمان قدم على عثمان ، وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة وقال حذيفـة لعثمان : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلى إلينا الصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها إليه ، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث ابن هشام ، فنسخوها فى

---

(١) أى أنه غير الصحابى المشهور أنس بن مالك ، رضى الله عنه .

(٢) الإتقان ١/ ٧٩ . وانظر أيضاً شواهد أخرى فى مثل ذلك فى فتح البارى ، ٩/ ٢١ - ٢٢ .

(٣) الإتقان ١ / ٧٩ - ٨٠ .

المصـــاحف . وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابـــت فـــى شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا. حـــتى إذا نســـخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق"[1].

ونزيد الأمر وضوحاً من خلال التعقيبات التالية على هذه الرواية :

أولاً: حاول ابن حجر أن يحدد الزمن الذى وقع فيه هذا الحدث ، فرجح أن يكون بعد مضى سنتين وثلاثة أشهر من خلافة عثمان٠٠أو أواخر سنة أربع وعشرين وأوائل سنة خمس وعشرين للهجرة ، قال: "وهو الوقت الذى ذكر أهل التاريخ أن أرمنية فُتحت فيه "[2].

إلا أن بعـــض الباحثين قد محص الأمر واستعرض كل أسانيده التاريخية، فرجح أن يكون غزو أرمينية قد بدأ عام ٣٠ هـــ (وليس ٢٥) وأن هذا العام هو ذاته الذى وقع فيه هذا الحدث وبدأت فيه كتابة المصاحف[3].

ثانياً: قول عثمان لحفصة: "أرسلى إلينا الصحف ننسخها فى المصاحف" مما يؤكد لنا أن عمل عثمان لم يكن "جمعًا" للقرآن، وإنما كان نسخا لما جمع من قـــبل فى عدة مصاحف ترسل إلى الأمصار ، كى يتوحد عليها الناس بعد أن

---

(١) صـــحيح الـــبخارى ، كتاب فضائل القرآن ، الباب الثالث ٠ وقد ذكر الزركشى فى البرهان (٢٣٦/١) رواية البخارى هذه ، لكنه أثبت سعد بن أبى وقاص بدلا من سعيد بن العاص ، ولعله سهو منه أو من الطابع ٠

(٢) فتح البارى ٢١/٩ ٠

(٣) انظر: القرآن وعلومه فى مصر (٢٠هـــ - ٣٥٨هـــ) للدكتور عبد الله خورشيد البرى ،ط دار المعارف من ص١٨ إلى ص٤٥ ٠

حدث ما حدث من الاختلاف فى القراءات.

كما يبدو من قول عثمان السابق أن لفظ "الصحف" لا "المصحف" كان لا يـزال ألصـق بعمل أبى بكر ، وأن هذا الثانى لم يشتهر إلا بعمل عثمان . يقـول ابـن حجر: "والفرق بين الصحف والمصحف أن الصحف الأوراق المجـزدة الـتى جمع فيها القرآن فى عهد أبى بكر. وكانت سورا مفرقة كل سـورة مرتبة بآياتها على حدة لكن لم يرتب بعضها إثر بعض ، فلما نُسخت ورتّب بعضها إثر بعض صارت مصحفا"(١).

ثالثاً : كان زيد وحده هو المسئول عما تم فى عهد أبى بكر ، لكن المسؤلية هـنا على أربعة..مع أنها لا تعدو أن تكون عملية " نقل " فى حقيقة الأمر ، بينما كانت هناك عملية جمع للنص المتفرق لأول مرة فى تاريخه !! ذلك أن هذا الجمع قد كان مطلوبا فى جو مستقر تماما من ناحية أداء النص، فلم يكن يلـزمه إلا مجرد الجهد للتلقى والإثبات.. حتى لو امتد إلى بعض الوقت .. أما ما حدث على عهد عثمان فقد كان متعلقا بمسألة " الأداء " هذه ومن أجلها ، والاخـتلاف علـى الأداء يتعلق بالجماعة، ومن ثم فلابد أن يكون العمل المتعلق به جماعيا ليكون القرار فيه نابعا من الجماعة.. فلايصلح له شخص واحد بأى حال.

ومـن هنا كانت هذه اللجنة الرباعية، وكان تشكيلها هذا أيضاً الذى يوحى بالـتوجه المطلـوب: ثلاثـة مهاجرون قرشيون مع واحد أنصارى ، وذلك لتحرّى النسخ على اللسان الأصلىالذى به نزل القرآن، وهو لسان قريش كما قـال عثمان . قال ابن حجر :" وفى رواية مصعب بن سعد : فقال عثمان:

---

(١) فتح البارى ٢٢/١ .

مـــن أكتب الناس ؟ قالوا: كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت. قال: فأى الناس أعـــرب –وفى رواية أفصح – قالوا : سعيد بن العاص ، قال عثمان : فليمل سعيد وليكتب زيد. ومن طريق سعيد بن عبد العزيز أن عربية القرآن أُقيمت علـــى لسان سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ .." [1].

مـــن جهة أخرى ، فقد جاءت الروايات بما يدل على أن الأمر لم يقتصر علـــى هؤلاء الأربعة، وأنه كان لهم مساعدون سمت الروايات منهم أبى بن كعب ومالك بن أبى عامر (جد مالك بن أنس) وكثير بن أفلح وأنس بن مالك وعـــبد الله بن عباس ٠٠ وذلك لحاجتهم إلى من يساعد فى نسخ المصاحف التى ترسل إلى الآفاق[2].

---

(١) المصدر السابق ١/ ٢٣ ٠

(٢) انظر: نفس المصدر ١/٢٢ – ٢٣ ٠

فما حقيقة علاقة الأحرف بهذه المصاحف[١] ، وهل ضمنها عثمان كلها فى نُسَخِها ، أم ضمّن بعضَها فقط ، أم لم يضمنها إلا حرفاً واحداً ؟ ثم ماعلاقة القراءات المتنوعة التى ظهرت بعد ذلك بهذه المصاحف ؟

لقد انقسم العلماء فى هذه المسألة إلى رأيين أساسين :

أحدهما: يقول بأن عثمان لم يُلغ الأحرف ،وأنه لم يقصد إلى ذلك ،وإنما قصد إلى جمع الناس على مصاحف موحّدة والتخلص مما عداها حسماً للخلاف ،وأنه قد حرص على تضمين الأحرف السبعة فى هذه المصاحف ..إما عن طريق مايحتمله الخط الذى كان خالياً من النقط والشكل ،وإما بتفريق ما لايحتمله الرسم -من زيادة أو نقص- على أكثر من نسخة ..نحو :أوصى ووصّى ، وتجرى تحتها ومن تحتها ..وهكذا.

الثانى: يقول بأن عثمان قد كتب المصاحف على حرف واحد لاغير، وقصد إلى التخلص مما عدا ذلك إلا مايحتمله الرسم ،لأن بواعث النسخ من الأصل كانت هى اختلاف الأحرف و القراءات.. فلو أبقاها فكأنه مافعل شيئاً ..فضلاًعلى أن الأحرف كانت رخصة للتيسير، وقد ارتفعت الحاجة إلى هذه الرخصة فلا يلزم الإبقاء على الأحرف بعد ذلك ولاهو من واجبات الدين .

---

(١) اختلف العلماء فى تحديد عدد هذه المصاحف ، مابين أربعة وسبعة ..ووصل بها بعضهم إلى ثمانية وتسعة. واختُلف فى الأمصار التى وُجّهت إليها المصاحف -بالطبع - تبعا للاختلاف فى هذا العدد .. فإن كانت أربعة فهى (إضافة إلى مصحف المدينة) البصرة والكوفة ودمشق ، وإن كانت أكثر فإنه يُضاف إلى ماسبق : مكة واليمن والبحرين ومصر . وقد اختار الدكتور عبد الله البرى -بعد البحث والمناقشة - أنها أربعة ، وكان مما استأنس به على هذا الرأى أن المناطق التى وجهت إليها النسخ (العراق -والشام) كانت هى ميدان الخلاف الأصلى الذى حدث فى موضوع الأحرف . انظر كتابه " القرآن وعلومه فى مصر " ص٤٥ وما بعدها.

وممن قال بالرأى الأول قديماً القاضى أبو بكر بن الطيب ،حيث يقول: "لم يقصد عـثمان قصد أبى بكر فى جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبى ﷺ وإلغاء ماليس كذلك.."[١].

وكذلك الإمام القرطبى ،حيث يقول: "واتفقوا (أى الصحابة) على جمعه بما صح وثبـت فى القراءات المشهورة عن النبى ﷺ واطّراح ما سواها"[٢] ، ويقول أيضاً فـى سياق حديثه عن اختلاف القراءات بعد نسخ المصاحف: "وماوجد بين هؤلاء القـراء السبعة من الاختلاف فى حروف يزيدها بعضهم وينقصها بعضهم، فذلك لأن كـلاً منهم اعتمد على ما بلغه فى مصحفه ورواه ،إذ قدكان عثمان كتب تلك المواضـع فى بعض النسخ ولم يكتبها فى بعض إشعاراً بأن كل ذلك صحيح وأن القراءة بكل منها جائزة "[٣].

وقـد قـال بهذا الرأى أيضاً من المحدثين الدكتور صبحى الصالح [٤]، والشيخ الزرقانى الذى دافع عنه دفاعاً شديداً [٥]، وكذلك الدكتور محمد عبد الله دراز الذى يقول: "فهل كان عثمان أكثر تشدداً من الرسول ،فمنع أشياء كان الرسول يبيحها ؟ لانعتقد ذلك. فلم يكن عثمان يقصد ،كما يعتقد بصفة عامة ، إلى إلغاء كل اختلاف فى القراءات . بل كان مصحفه -كما هى الحال فى المصاحف السابقة- [٦] يتكون مـن هيكل كلمات تقبل القراءة بطـرق مختلفة [٧]، بل وكان حرصه دائباً على

---

(١) الإتقان ٨٠/١.

(٢) مقدمة القرطبى لتفسيره ،ص٥٢.

(٣) المصدر السابق ،ص٥٤.

(٤) انظر مباحث فى علوم القرآن ،ص٨٥-٨٦.

(٥) انظر مناهل العرفان ١٦٨/١ وما بعدها .

(٦) يقصد مصاحف الصحابة .

(٧) يقصد احتمال الرسم الخالى من النقط والشكل للقراءة بأكثر من وجه .

أن يوضـــح القراءات المعروفة على النص ذاته فى كل مرة لاتتمكن الكلمات من إظهار إلا طريقة واحدة فى القراءة. وهكذا نرى أن كلمة {مسيطر} مكتوبة بالسين ويعلوها حرف (ص) أو مكتوبة بالصاد وتعلوها السين. كما نجد فى أحد مصاحفه النموذجـية {**سارعوا**} وفى مصحف آخر {**وسارعوا**} وأيضاً {**بما تشتهى**} و{**بما تشتهيه**} وأيضاً {**سيقولون لله**} و{**سيقولون الله**}[1].

وأمـــا الرأى الثانى ، فله أنصار كثيرون أيضاً يقول عنهم الشيخ الزرقانى نفسه: "وذهـــب جماهـــير العلمـــاء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن المصاحف العثمانـــية مشتملة على مايحتمل رسمها من الأحرف السبعة فقط ، جامعة للعرضة الأخيرة التى عرضها النبى ﷺ على جبريل متضمنة لها"[2].

فمـــن أقدم من قال بهذا الرأى ابن جرير الطبرى ، حيث يقول: "وجمعهم -أى عثمان- على مصحف واحد وحرف واحد ،وخرَّق[3] ماعدا المصحف الذى جمعهم علـــيه .وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالف للمصحف الذى جمعهم عليه أن يخـــرقه. فاستوســـقت له الأمة على ذلك بالطاعة، ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشـــد والهداية ،فتركت القراءة بالأحرف الستة التى عزم عليها إمامها العادل فى تـــركها ، طاعـــة منها له ، ونظراً منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها ، حـــتى درســـت من الأمة معرفتها وتعفّت آثارها ، فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها، لدثورها وعُفُوّ آثارها وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها "[4].

ومن قبل ابن جرير قال أيضاً الحارث المحاسبى (ت٢٤٣هـــ): "..المشهور

---

(١) المدخل إلى القرآن الكريم ،ص٤٣،٤٢.

(٢) مناهل العرفان ١٦٨/١.

(٣) هكـــذا تـــرد (بالخـــاء المعجمة) فى بعض الروايات المتعلقة بالمصاحف العثمانية ..من الخرق بمعنى التمزيق والإعدام ،وترد أيضاً (بالحاء المهملة) من الحرق أو التحريق بالنار.

(٤) مقدمة الطبرى لتفسيره ،ص٦٣-٦٤.

عـــند الـــناس أن جامع القرآن عثمان رضى الله عنه ،وليس كذلك ، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجريـــن والأنصـــار لما خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام فى حـــروف القـــراءات و القرآن . وأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التى أُنزل بها القرآن .."[1].

ويقـــول مكـــى بن أبى طالب فى سياق إجابته عن سؤال بشأن الفرق بين القـــراءات والأحرف: "فالجواب عن ذلك أن هذه القراءات كلها التى يقرأ بها الناس اليوم ، وصحت روايتها عن الأئمة ، إنما هى جزء من الأحرف السبعة الـــتى نزل بها القرآن ، ووافق اللفظ بها خط المصحف ..وإذا كان المصحف بـــلا خلاف كُتب على حرف واحد من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ، وعلـــى لغـــة واحـــدة ، والقـــراءة الـــتى يُقرأ بها لايخرج شئ منها عن خط المصـــحف، فليست هى إذن هى السبعة الأحرف التى نزل بها القرآن كلها، ولـــو كانت هى السبعة كلها وهى موافقة للمصحف ، لكان المصحف قد كُتب علـــى ســـبع قـــراءات ، ولكان عثمان رضى الله عنه قد أبقى الاختلاف الذى كرهه. وإنما جمع الناس على المصحف ليزول الاختلاف "[2].

ويقول أيضاً: "فالمصحف كُتب على حرف واحد ، وخطه محتمل لأكثر مـــن حـــرف ، إذ لم يكن منقوطاً ولا مضبوطاً ، فذلك الاحتمال الذى احتمل الخط هو من الستة الأحرف الباقية.."[3].

---

(١) البرهان ٢٣٩/١ والإتقان ٨٠/١.

(٢) الإبانة عن معانى القراءات ، لمكى بن أبى طالب ، ص٢٢-٢٣.

(٣) المصدر السابق ،ص٢٤.

والحق أننى أميل إلى هذا الرأى الثانى ، ويميل إليه أيضاً من المحدثين الشـيخ مـناع القطـان ..الذى قال فى دفاعه عنه: "ولو كانت هذه الأحرف تشـتمل عليها المصاحف العثمانية لما كان مصحف عثمان حاسماً للنزاع فى اختلاف القراءات ، إنما كان حسم هذا النزاع بجمع الناس على حرف واحد مـن الأحـرف السبعة التى نزل بها القرآن ، ولولا هذا لظل الاختلاف فى القراءة قائماً ، ولما كان هناك فرق بين جمع عثمان وجمع أبى بكر.."(١).

وأحب – بعد كل ذلك– أن أوضح خلاصة ما أرتاح إليه فى هذه المسألة على الوجه التالى:

أولاً: قصـد عثمان – رضى الله عنه – إلى التوحيد فى نسخ المصاحف ، يجب أن يكون هو حجر الزاوية فى هذا الأمر..وأى غفلة عن ذلك لابد حتماً أن تبتعد بصاحبها عن جادة الصواب فى هذا الموضوع .

وإلا فكيف يُحسم الاختلاف بإبقاء الاختلاف ؟! نعم ستكون مصاحف عثمان (المشـتملة علـى الأحرف كما زعموا) هى الإمام..لكن الناس بشر ، وهم يـتلاقون بعضـهم مع بعض من شتى أمصار الدولة فى المناسبات المختلفة وفـى الغزوات وفى الحج..ونحو ذلك ، فلابد أن قراءاتهم ستختلف باختلاف مـاليهم مـن المصاحف ، وفيهم العالم والجاهل والعربى والأعجمى ..فلا يُؤمـن علـيهم مـع مثل هذا الاختلاف؟! وكما قيل ، فإن عثمان –فى هذه الحالة– كأنه مافعل شيئاً.

ثانـياً: إن التوجه إلى التوحيد واضح من تشكيل اللجنة الرباعية نفسها التى كلفها عثمان بمهمة النسخ ، ومن طريقة عملها .

---

(١) مباحث فى علوم القرآن ص١٦٦-١٦٧.

فـزيد فى هذه اللجنة ، لنفس مؤهلاته التى رشحته للجمع الأول على عهـد أبى بكر .والثلاثة القرشيون لتحرى لسان قريش على وجه الخصوص .ولـيس من شك أن الجمع الأول كان بهذا اللسان نفسه لأنه لسان رسول الله ﷺ ولسـان العرضة الأخيرة التى تلقاها عنه زيد..لكن إدخال هؤلاء الثلاثة إنمـا كـان بسـبب الجو المحيط بالعمل نفسه، وهو جو هذا التنازع الذى ظهـرت بوادره..فكان وجود هؤلاء بمثابة الأخذ بالأحوط أو بمثابة الصخرة التى يُراد لها أن تصد التيار .

بعبارة أخرى: لقد كان القصد الأساس من هذه اللجنة أن يكون زيد هو الكاتـب كما كان هو الكاتب أول مرة، وأن يكون هو "العمدة" فى هذه اللجنة كما كان "العمدة" فى الجمع الأول.. ثم يكون معه هؤلاء للسبب الذى ذكرناه. لقد كانت شهرة زيد فى الحفظ والقراءة لاتخفى على أحد..جاء فى البرهان: "..واخـتُلف فى الحرف الذى كتب عثمان عليه المصحف، فقيل: حرف زيد بـن ثابت ، وقيل حرف أبىّ بن كعب ، لأنه (أى الحرف الذى كُتب به) هو العرضـة الأخيرة التى قرأها رسول الله ﷺ. وعلى الأول (أى القول بحرف زيد) أكثر الرواة .ومعنى حرف زيد ،أى قراءته وطريقته"[1].

ولوكـان من مهمة اللجنة توزيع الأحرف على المصاحف (كما قيل) لجاءت لجنة موسّعة، فيها من كل قبيلة (أو من كل لسان مشهور على الأقل) صحابى قارئ ليرشد كلٌ إلى ماوافق لسانه..وإلا فكيف يتولى زيد وحده هذه المهمة ؟! وكيف ينوب فيها القرشيون عن كل العرب؟!

ثـم حينما قرأ زيد "التابوه" بدلاً من "التابوت"[2] أثناء عمل اللجنة لماذا

---

(١) البرهان ١/٢٥٦.

(٢)وذلك فى قوله تعالى: {إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم..} [البقرة/٢٤٨]

لـــم يكتـــبوا حرفه ، إذا كان الهدف هو إثبات الأحرف؟! أم كانوا أعلم منه بالأحرف فرفضوا قراءته؟! بل كتبوا مايوافق المهمة المطلوبة، كما جاء فى الـــرواية التى أخرجها البخارى والترمذى: "قال ابن شهاب : واختلفوا يومئذ فى التابوت، فقال زيد: التابوه. وقال ابن الزبير وسعيد بن العاص: التابوت ، فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال: اكتبوه بالتاء ، فإنه نزل بلسان قريش"(١). فلم يقل لهم عثمان: اكتبوا هذه فى نسخة وهذه فى نسخة أخرى ولا قال لهم: هذا خطأ وهذا صواب ، إنما أمرهم أن يكتبوا مايوافق لسان قريش. وزيد لم يكن قرشـــياً ، فكانت قراءته "التابوه" من بقايا ما تأثر به من لسانه الخاص، على الـــرغم مـــن شهوده للعرضة الأخيرة..ولأجل ذلك ومثله كان وجود الثلاثة القرشيين.

ثالثاً: ليس هناك مع أصحاب الرأى الأول أى دليل مباشر أو أى رواية يعـــتمد عليها ، مما يدل على أن عثمان قد وجه الكتبة إلى نسخ الأحرف فى المصـــاحف ، أو أنـــه اجتمع بالصحابة وقرر شيئاً مثل ذلك ،أو أن أحداً من الصحابة قد اقترحه عليه.

ولاأدرى مـــا مستندهم على أن الصحابة قد أجمعوا على جمع القرآن بالقـــراءات المشهورة .. كمامر فى قول القرطبى ،أو أن هذه الأحرف التى فيها زيادة أو نقص قد وزعت على المصاحف بتوجيه من عثمان ، كما هو فى قول الشيخ دراز..على مانعرفه له من دقة النظر والتحرى؟!

بينما العكس صحيح فى الرأى الثانى، فإن هناك روايات مباشرة تدل على أن التوجه فى هذه القضية كان هو توحيد القراءة لاتوزيع القراءات .

يقـــول ابـــن حجر وهو يستعرض الروايات الواردة فى هذا الموضوع:

---

(١) مقدمة تفسير القرطبى ،ص٥٤.

"ومن طريق أبى الشعثاء قال: قال حذيفة: يقول أهل الكوفة: قراءة ابن مسعود ، ويقــول أهــل البصرة: قراءة أبى موسى ، والله لئن قدمت على أمير المؤمنين لآمرنه أن يجعلها قراءة واحدة "[1].

ويقــول أيضاً : "أخرج ابن أبى داود بإسناد صحيح من طريق سويد بن غَفَلــة قــال: قال علىّ: لاتقولوا فى عثمان إلاخيراً. فوالله مافعل الذى فعل فى المصاحف إلا عن ملأ منا، قال: مانقولون فى هذه القراءة؟ لقد بلغنى أن بعضهم يقــول: إن قراءتى خير من قراءتك وهذا يكاد يكون كفراً، قلنا: فما ترى؟ قال: أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولااختلاف. قلنا: فنعم مارأيــت"[2]. وفــى رواية أنس التى مرت بنا فى أول هذا الفصل "..ياأصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً ".

فمــا معــنى "قراءة واحدة" فى قول حذيفة ، ومامعنى "مصحف واحد" ومامعنى "فاكتبوا للنــاس إمــاماً" إذا لم يكن المعنى هو "التوحّد" ؟! وبخاصة حيــن يُقال هذا الكلام فى جو الخوف على القرآن من بوادر الفتنة التى كادت تهدد نصه العظيم.

رابعــاً: بــل هــناك عبارة لها دلالتها البالغة فى هذا الصدد، قالها أحد التابعيــن المشــهورين فــى تلقى القرآن على حفاظ الصحابة ، وهو أبو عبد الرحمــن السُّــلَمىّ..قال: "كانت قراءة أبى بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجريــن والأنصار واحدة ، كانوا يقرءون القراءة العامة ، وهى القراءة التى قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرتين فى العام الذى قُبض فيه ، وكان زيد قد شهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات ، ولذلك اعتمده

---

(١) فتح البارى ٢٢/٩.

(٢) فتح البارى ٢٢/٩.

الصديق فى جمعه ، وولاه عثمان كتبة المصحف"[1].

إن هـذه العـبارة لهـا دلالتها الهامة فى موضوع الأحرف بوجـه عـام .. وفى موضوع المصاحف أيضاً بوجه خاص .إنها تدل على أنه كـان هناك قـراءة أساسية للقرآن، يتوحد عليها الرسول والصحابة . وهذا معـناه أن القراءات القرآنية كانت تنحو نحو التوحد كلما قارب عهد الرسالة نهايـته مـن جهة ، وأن هذه القراءات لم توجد لتبقى من جهة أخرى..وإنما وُجدت لتؤدى غرضاً معيناً إلى حين ، ثم لايكون هناك معنى للإصرار عليها بعـد أداء هـذا الغرض ولايكون هناك إثم فى الوقت نفسه على من استغنى عنها أو اكتفى بواحد منها .[2]

وقـول أبـى عـبد الرحمـن: "القـراءة العامة" أى: القراءة الأساس السائدة..دون الأحرف والقراءات الأخرى. فلا يُعقل حين يريد عثمان "إماماً" للـناس أن يترك هذه "القراءة العامة" أو أن يمزجها بالقراءات الأخرى.. مع كونه عالماً كل العلم أنها قراءة الرسول والصحابة .

خامساً: يبدو أن المعضلة الأساس التى تلجئ أصحاب الرأى الأول إلى القول به ، هى عجزهم عن تبرير القراءات الحالية المخالفة لرسم المصحف الـذى بين أيدينا.. فيما لوقالوا – كأصحاب الرأى الثانى – إن عثمان قدكتب المصـاحف علـى حرف واحد .فلأجل هذه المعضلة يزعمون أن عثمان قد وزع الأحرف على المصاحف ، فقرأ أهل كل مصر بما يوافق رسم النسخة

---

(١) البرهان ١/٢٣٧.

(٢) ولـو كـان الشيخ دراز ركز على هذا المعنى ، ماقال (كما مر بنا) : فهل كان عثمان أكثر تشـدداً من الرسول فمنع أشياء كان الرسول يبيحها ؟ فإن المسألة ليست تشدداً أو تساهلاً ، إنما هـى رخصة قد أدت غرضها واستوفت أوانها ، ثم إنه لم يحدث فى عهد الرسول من التنازع فى القراءات كالذى حدث على عهد عثمان حتى يصح قياس أحدهما على الآخر .

التى أرسلت إليهم، ولأجل ذلك اختلفت القراءات.

والذى أرتاح إليه أن مصاحف عثمان كانت كلها صورة واحدة ..لاشئ فى نسخة يخالف الأخرى، وأن منشأ اختلاف القراءات بعد نسخ هذه المصاحف أو على الرغم منها -إن صح التعبير- أمران: الأول يرجع إلى مايحتمله الرسم نفسه -أحياناً- من تعدد وجوه القراءة بسبب الخلو من النقط والشكل كما عرفنا من قبل.. فتبينوا تُقرأ: فتثبتوا ، وننشزها تُقرأ: ننشرها ، وتقتلون تقرأ بالبناء للمعلوم والبناء للمجهول ..وهكذا . الثانى يرجع إلى بقايا ماأثره الناس وحفظوه وتناقلوه بطريق المشافهة عن الصحابة ، مما كانوا يقرءون به قبل نسخ المصاحف.

ويؤيد كلامنا هذا مادار من حوار بين عثمان ومن خرجوا عليه من المتمردين ، حين اتهموه -من بين ما اتهموه به- بأنه قد "محا كتاب الله عزوجل".. أى ألغى الأحرف، فقال لهم: "أما القرآن فلم أمنعكم إلا لأنى خشيت عليكم الفرقة، ويمكنكم أن تقرءوا بالحرف الذى يتيسّرلكم"[1]. أى مافعلته كان للمصلحة ..ومع ذلك فإن الحروف الأخرى لاتزال قائمة (عن طريق المشافهة بالطبع) ولاحرج على أحد فى أن يقرأ بما شاء منها[2].

---

(١) انظر "كتاب المصاحف" لابن أبى داود السجستانى ،ط سنة ١٩٣٦م ،ص٣٦.

(٢) بعد ذلك وضع العلماء -بالطبع - شروطا معينة لقبول القراءة ، وهى ثلاثة بالتحديد : أولها صحة السند ، والثانى صحتها فى العربية ، والثالث موافقتها للرسم.ومن مهم ماذكره ابن الجزرى فى سياق بيانه لهذه الشروط أن القراءة المنقولة بالتواتر خصوصا تُقبل حتى لو فقدت الشرطين الآخرين. فذلك مما له علاقة -كما هو واضح - بهذه القراءات التى بقيت بعد نسخ المصاحف.. كما ذكرنا. انظر " النشر فى القراءات العشر" ، ص٩ وما بعدها ، و " الإبانة عن معانى القراءات " ص٣٩ وما بعدها .

ويؤيد كلامنا أيضاً قول ابن هشام فيما ذكره ابن حجر: "إن السبب فى اختلاف القراءات السبع وغيرها أن الجهات التى وُجّهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة، وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل ، قال : فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعا عن الصحابة بشرط موافقة الخط ، وتركوا ما يخالف الخط امتثالا لأمر عثمان الذى وافقه عليه الصحابة لما رأو فى ذلك من الاحتياط للقرآن "[1].

فهذا كله كلام واضح فى أن بعض الأحرف التى ألغاها عثمان ، ظلت سارية بعد كتابة المصاحف.. إما بسبب ما يحتمله رسم هذه المصاحف ، وإما بسبب ما تناقله الناس حفظا ومشافهة مما كان يُقرأ به قبل المصاحف. بل يضاف أيضاً أن بعض الناس ظل محتفظا ببعض مصاحف أو صحف من عهد الصحابة أو بنسخ منقوله عنها[2]..وذلك مما يضرب بسهم أيضاً فيما بقى من هذه الأحرف.

---

(١) فتح البارى ٣٧/٩

(٢) انظر أمثلة كثيرة على ذلك ص١٣ وما بعدها من كتاب " القرآن وعلومه فى مصر " للدكتور البرى .

علـــى الرغم من كفاية الأدلة السابقة –من وجهة نظرنا– على ضعف الـــرأى الأول، فإننا لن ننسى أيضاً مسألة محددة تتعلق بما يورده طائفة من العلمـــاء والباحثين من بعض وجوه القراءات المخالفة لرسم المصحف ، ثم ينســـبون ذلـــك إلى المصاحف العثمانية ،وقد ورد من ذلك كثير فى "كتاب المصـــاحف" لابن أبى داود وكتاب "المقنع فى الرسم" لأبى عمرو الدانى .. وغيرهما،[1] ثم تناقله علماء القرآن والباحثون بعد ذلك.. على مامّر بنا لدى أصحاب الرأى الأول.

فنحن نسأل : من الذى اطلع منهم أو ممن نقلوا عنهم على المصاحف العثمانية (مجتمعة) حتى يقارن بينها ويتاح له أن يقول بمثل ذلك .. أن هذه القـــراءة فى هذه النسخة " أوصى" وفى هذه "وصّى"، وهذه هنا: "بما تشتهى" وفـــى غـــيرها: "بمـــا تشتهيه"..الـــخ؟! فلا توجد رواية واحدة (صحيحة أو ضعيفة) عند ابن أبى داود – وهو أشهر من كتب فى المصاحف ــ ولا عند غيره ، تدل على مثل هذا الاطلاع .

ومن الحقائق المعروفة أن السيرة التاريخية للمصاحف العثمانية الأصلية غير معلومة على وجه الدقة، بعد القرن الأول. نعم هناك روايات متعددة عمن رأى بعضـــها فى البصرة أو فى جامع دمشق أو فى جامع قرطبة، على مدى القـــرون التالية حتى القرن التاسع تقريباً[2]..كما أن حركة النقل فى الأمصار

---

(١) راجع الفهرست لابن النديم ، فيما أحصاه عن الكتب المؤلفة فى اختلاف المصاحف ، ط دار المعرفة ، ص٥٤ ، وانظر المصاحف لابن أبى داود ص٣٤ وما بعدها .

(٢) انظر: مباحث فى علوم القرآن للدكتور صبحى الصالح ،ص٨٧ وما بعدها ، حيث قام بتتبع جيد للمصاحف العثمانية ومصيرها، وذكر رؤية الإمام ابن كثير (ت٧٧٤هـــ)

عن هذه النسخ الأصلية كانت أمراً مؤكداً كذلك[1]، لكن المؤكد أيضاً أنه لم يُتَح لأحـــد أن يطلع على جميع النسخ.. ولاحتى على نسختين منها فى وقت واحد، ليفحص ويقارن ثم يدلى بمثل هذه الأقوال .

مـــن جهـــة أخرى ، فإن ما ورد عن وجود هذه الأوجه المخالفة للرسم بالمصـــاحف الأصلية، لايعدو أن يكون أخبار آحاد.. ولايقبل خبر الآحاد فيما يخـــالف الرســـم بحسب شروط القراءات المعروفة، كما أشرنا إليها من قبل. بعبارة أخرى.. نقول: إنه لايوجد تواتر فى الأخبار المتعلقة بنسبة هذه الأوجه إلـــى المصاحف العثمانية، وإن لم يمنع ذلك من تواتر بعضها فى حد ذاته.. لا مـــن طـــريق المصاحف الأصلية وإنما من طريق النقل الشفهى أومن طريق المصاحف الخاصة، كماسبق أن ذكرنا فى موضع سابق.

ومن هنا، فإن ما يقال بأنه نسخ منقولة عن المصاحف الأصلية كما فى كتاب ابن أبى داود، يجب أن يصدق عليه نفس الكلام.. فما جاء منها مطابقاً للرســـم العثمانى الذى بين أيدينا فهو المقبول، وماجاء منها مخالفاً لشئ منه فلاصلة له بهذه المصاحف ويكون معيار قبوله أو رده هو هذه الشروط التى وضعها علماء القراءات .

ولـــو كانت نسبة هذه الأحرف المخالفة للرسم إلى المصاحف العثمانية أمـــراً ثابتاً متواتراً، ماوسع أحداً إنكاره -بالطبع- من علمائنا القائلين بنسخ المصاحف على حرف واحد ورسم واحد.

وبناء على ماسبق ، فإننا نعتقد بيقين أن المصاحف العثمانية كانت كلها

لأحدها فى جامع دمشق ، وهو مصحف الشام الذى وصفه ابن كثير -كما جاء فى كتابه فضائل القرآن- بقوله: "..وقد رأيته كتاباً عزيزاً جليلاً عظيماً ضخماً بخط حسن مبين قوى ، بحبر محكم ، فى رَقّ أظنه من جلود الإبل".

(١) انظر: القرآن وعلومه فى مصر ص٤٧ ومابعدها وص٥٧ ومابعدها.

نسـخة واحدة وصورة واحدة، هى المطابقة للمصحف الذى بين أيدينا الآن.. والـذى بأيدى جميع المسلمين على اختلاف نحلهم ومذاهبهم. ولوكانت هناك نسخ مخالفة من هذه المصاحف لما بين أيدينا ، فما الذى كان يمنع من إبقاء المسـلمين علـيها إلى اليوم .. وهى لاتتفاضل -حينئذ- طالما أنها كلها عن مصـدر واحد ؟! فضلا على أن التاريخ لم يورد لنا خبراً واحداً عن أن أحداً مـن المسـلمين -حاكماً كان أو محكوماً- قد أجبر الناس على التزام نسخة بعيـنها من المصاحف العثمانية وتخلص مما عداها . ثم إن نص هذا الرسم الـذى بيـن أيدينا هوهو المثبت فى أقدم ما لدينا من كتب التفسير ودواوين الحديث منذ القرن الثانى (التالى مباشرة لقرن المصاحف) إلى اليوم.

وخـتاماً، فـإن قضية الأحرف والقراءات .. كيفما اختلفت فيها الآراء وكيفما كانت علاقتها بالمصاحف العثمانية ، لاتمس سلامة النص القرآنى فى شـئ .. بل على العكس، إنها أكبر دليل على مالقيه هذا النص من الاهتمام والـرعاية، بما تظهره من الحفاوة والتعلق بكل مايمت إلى هذا النص بصلة. حـتى مـاحكم علـيه مـنها بأنـه شاذ أو منكر، نجده مدوناً فى الدواوين والمصنفات[1]، للاستفادة به من أى جانب يمكن أن يخدم فى إيضاح النص، أو فى دراسة اللغة العربية بوجه عام. فإذا كان ذلك هومانااله ماحول النص، فكيف بما ناله النص ذاته؟

فنحـن نوقن -بعد كل ذلك- أن هذا النص الذى بين أيدينا هوهو الذى نسخه عثمان..ليس فقط بمايوافق رسمه الذى لم يكن منقوطاً ولامشكولاً، بل

---

(١) وذلـك مثل "مختصر فى شواذ القراءات " لابن خالويه، و"المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات" لابن جنى، وماورد فى "إملاء مامنّ به الرحمن" للعكبرى.. وغير ذلك.

بما يوافق الحرف ذاته الذى أراده عثمان[1].. والذى هو نفسه حرف الرسول ﷺ الـذى أُنزل عليه القرآن، وذلك لأن صيانة نص هذا الكتاب لم تكن عن طريق التدوين أساساً كيفما كان شكله ورسمه فى أى زمن من الأزمان، وإنما كانـت عن طريق ذاكرة المؤمنين وقلوبهم التى نقلته متواتراً كما أُنزل منذ عهد الرسول ﷺ إلى اليوم. وأكبر دليل على ذلك أن رسم المصحف العثمانى الـذى بيـن أيدينا يختلف عن نفس منطوق التلاوة فى مواضع كثيرة.. وهذا معـناه أن المعوّل عليه فى إقامة هذا النص -فى جميع الأزمان- هو أساساً الحفظ فى الذاكرة والتلقى المباشر عن الحفاظ والقراء.

ولأجـل كل ذلك فقد شهد أكثر من واحد ممن لاينتمون -أصلاً- إلى هذا الكتاب، بما يؤكد كلامنا السابق، على شاكلة قول المستشرق لوبلوا: "إن القرآن هو اليوم الكتاب الربانى الوحيد الذى ليس فيه أى تغيير يُذكر"، وكذلك قـول المستشرق "و.موير": "إن المصحف الذى جمعه عثمان قد تواتر انتقاله مـن يد ليد حتى وصل إلينا بدون أى تحريف. ولقد حفظ بعناية شديدة بحيث لـم يطـرأ عليه أى تغيير يذكر. بل نستطيع أن نقول إنه لم يطرأ عليه أى تغيير على الإطلاق فى النسخ التى لاحصر لها والمتداولة فى البلاد الإسلامية الواسعة... فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الإسلامية المتنازعة. وهذا الاسـتعمال الإجمـاعى لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم يعد أكبر حجة ودليل على صحة النص المنـزل الموجود معنا[2]".

---

(١) وذلـك تبعاً للرأى الذى اخترناه، القائل بأن عثمان لم يفرق الأحرف فى المصاحف، وإنما أراد حرفاً واحداً.. أو بتعبير مكى فى الإبانة (ص٣٣): "لم يكتُبْ المصحف إلا على حرف واحد ولفظ واحد" ولم يرد "إلا لفظاً واحداً بكل حرف".. أى لم يرد إلا وجهاً واحداً من القراءة فى أى موضع من القرآن.

(٢) نقلاً عن الدكتور عبد الله دراز فى "كتابه المدخل إلى القرآن الكريم" ، ص٤٠-٤١.

تعقيب وخلاصة

١ ــ لعل أبرز ما ركز عليه هذا البحث هو محاولة تحديد حقيقة المشكلة فى قضـــية " مفهـــوم الأحرف والقراءات القرآنية " ،إيماناً من الباحث بأن هذا التحديد هو أساس التوجه إلى الطريق الصحيح فى حل المشكلة ذاتها .

٢ ــ لقـــد تبيـــن لنا أن الإشكالية الأساسية فى تلك القضية ، تكمن فى وجود حقيقتيـــن متعارضتين .. أولاهما : حقيقة النصوص شبه المتواترة التى تقرر نـــزول القـــرآن علـــى سبعة أحرف ، بما يدل ــ بحسب الظاهر ــ على أن الأحرف شأن يتعلق بالوحى ، ولا صلة لأحد به ، وبخاصة أن تلك النصوص قد حصرت هذه الأحرف فى عدد بعينه (سبعة) على وجه التحديد . والثانية : حقيقة المرويات النبوية وممارسات أداء النص الفعلية ــ على عهد الرسالة ــ الدالة بكل وضوح على تقدير أعذار الناس فى عدم القدرة على الالتزام بحرفية هـــذا الأداء ، ومن ثم كانت تلك الأحرف رخصة من عند الله تعالى تبيح لهم أداء هـــذا النص بحسب استطاعتهم ، بلا أية قيود .. سوى قيد المحافظة على اتفاق المعانى .

٣ ــ وبـــناءً علـــى هـــذا الـــتعارض تولدت وجهتا نظر محددتان أيضًا .. أولاهمـــــا : تتمســـك بالمفهوم الحرفى لتنزيل الأحرف وتنطلق منه ، فإذا شـــرعت فـــى بيان هذا المفهوم على وجه التفصيل اصطدمت ــ أو عجزت بالأحرى ــ أمام أمرين .. أولهما : تفصيل ماهية الأحرف من خلال " سبعة " أوجه محددة كما هو ظاهر العدد فى تلك المرويات ، الأمر الذى أثبتنا أنها قـــد عجزت عنه تمامًا ، على مستوى جميع الاقتراحات التى قدمت فى هذا الصدد . الثانى : دلالة المرويات والممارسات المشار إليها على أن الأحرف

ظاهــرة أوسع وأشمل من أن تحصرها سبعة أوجه ولا حتى سبعون ، تبعًا لتنوع أعذار الناس وتفاوت أحوالهم فى الأداء ، التى ليس لها حد كذلك ..

وبــناء على هاتين العقبتين ، لم يجد فريق من أصحاب هذه الوجهة ، أوجه مــن القــول بأن الأحرف هى سبعة أنواع من التغاير التى تشمل كل ألوان اختلافات الناس وممارساتهم فى أداء النص .. حيث أثبتنا أيضًا أن هذا القول لــيس إلا نوعــا من التخلص الفارغ من أى مضمون ، بل نوعا من التسليم بمضمون تلك الحقيقة الثانية التى أشرنا إليها من قبل .

٤ ــ أمــا الوجهــة الثانية ،فهى التى يرى أصحابها أن التنزيل فى أحاديث الأحــرف ــ وكذلك العدد ــ غير مراد على ظاهره ، بقرينة تلك المرويات والممارســات المشــار إلــيها مــن ناحية ، وبقرائن لغوية وبيانية أيضًا .. أوضحناها فى ثنايا البحث من ناحية أخرى ، مما يجعل أصحاب هذه الوجهة هــم الأكــثر اتســاقًا مع أنفسهم ومع ضوابط البحث الصحيحة ، بخصوص المفهــوم الأدق للأحرف والقراءات القرآنية ، وإن لم يجدوا من يبرز وجهة نظرهم فى القديم ولا فى الحديث .

٥ ــ هــذا ، ومن المهم التنبه فى الختام ، إلى أنه لاعلاقة مطلقًا بين قضية الأحــرف وقضــية ثبوت النص القرآنى ، من حيث إن موضوعها يختص بحقيقة العلاقة بين الأحرف وبين النص ، لا بالنص ذاته ، الذى يشهد أعداؤه قبل أوليائه أنه هو هو كما دونه عثمان ــ رضى الله عنه ــ فى المصاحف ، وكما صدر عن مبلغه رسول الله ﷺ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- ابن أبى داود السجستانى : كتاب المصاحف ، المطبعة الرحمانية بالقاهرة ١٩٣٦ م.
- ابـن جريـر الطـبرى : ط دار المعـرفة ، وطبع دار المعارف بتحقيق الأستاذين محمود شاكر وأحمد شاكر .
- ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر ، ط دار الكتب العلمية - بيروت
- ابـن قتيـبة : تـأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ـ ط دار التراث ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.
- ابـن كثير: تفسير القرآن العظيم ، تحقيق عبد العزيز غنيم وزملائه ، ط الشعب.
- ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت .
- ابن النديم : الفهرست ، ط دار المعرفة .
- أبـو الحسـين العكـبرى : إملاء ما منّ به الرحمن فى وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن ط الحلبى ١٣٨٥ - ١٩٦٩ م .
- ابـو عبد الله الزنجانى : تاريخ القرآن ، ط٣ مؤسسة الأعلمى ، بيروت ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م.
- أحمد بن حنبل : المسند ، ط المطبعة الميمنية ، ١٣١٣ هـ .
- الـبخارى : صـحيح الـبخارى ، بشرح فتح البارى لابن حجر ، ط دار الكتب العملية ١٤١٠ هـ ١٩٨٩م.
- بدر الدين الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، ط الحلبى .

- **الـــترمذى** : صحيح الترمذى ، المعروف بسنن الترمذى ، بشرح أبى بكر بن العربى ، مطبعة الصاوى – القاهرة ١٣٥٣هـــ – ١٩٣٤ م.
- **جـــلال الديـــن السيوطى** :* الإتقان فى علوم القرآن،ط الحلبى١٣٩٨هـــ ١٩٧٨م * تناســق الــدرر فى تناسق السور . طبع بعنوان : أسراء ترتيب القرآن ، بتحقيق عبد القادر عطا ، دار الإعتصام ١٣٩٦هـــ – ١٩٧٦م.
- **د . صـــبحى الصـــالح** : * مباحث فى علوم القرآن،ط دار العلم-بيروت ١٩٧٩م * علوم الحديث ومصطلحة ، ط ١٠ دار العلم – بيروت ١٩٧٨ م.
- **د . عبد الصبور شاهين** : * تاريخ القرآن ، ط دار القلم ١٩٦٦م
- **د. عـــبد الله خورشـــيد الـــبرى** : القـــرآن وعلومه فى مصر ، ط دار المعارف ١٩٧٠م .
- **عبد العظيم الزرقانى** : مناهل العرفان فى علوم القرآن ، ط الحلبى
- **القرطبى** : الجامع لأحكام القرآن ، ط دار إحياء التراث ١٩٨٥ م.
- **مالك بن نبى** : الظاهرة القرآنية ، القاهرة ١٩٥٨ م.
- **د.محمـــد عـــبد الله دراز**:*المدخل إلى القرآن الكريم،ط دار القلم١٣٩٩ هـــــ-١٩٧٨م * النـــبأ العظـــيم .. نظرات جديدة فى القرآن ، ط مطبعة السعادة ١٣٨٩هـــ – ١٩٦٩م.
- **مسلم بن الحجاج** : صحيح مسلم ، بشرح النووى ، ط الطبعة المصرية
-**مكـــى بـــن أبـــى طالـــب** : * الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججهـــا ، تحقـــيق الدكـــتور محيى الدين رمضان ، ط مؤسسة الرسالة ١٤٠١ه- ١٩٨١م.

* الإبانة عن معانى القراءات ، نفس المحقق ، ط دار المأمون للتراث.
- **مـــناع القطـــان** : مباحث فى علوم القرآن، ط مؤسسة الرسالة ١٤٠٨هـــ- ١٩٨٧م.